

معركة صبيان

الأستاذ نجاتي صدق

—•••••—

كانت الواصلات بين أحياء القدس العربية واليهودية منقطعة إنتطاعاً تاماً ... وإذا ما تخطت سيارة من سيارات الطرفين الحدود فمضى ذلك أنها موفدة ، « مهمة » لا عودة لها بعد أن يتم لها إنجازها .

إلا أن هناك نوعاً من سيارات الشحن اليهودية كان يحق لها أن تخترق أحياء القدس العربية على شكل قوافل أربع مررات في اليوم ، هي سيارات (البوتاس) .

والسيارات هذه تابعة لشركة البوتاس التي تقع معاملها على ضفة الأردن الغربية ، في بلدة (كاليه) اليهودية الصناعية ، وهي تستخرج ملح البوتاس من رواسب البحر الميت ، ثم تعبئه في أكياس وترسله إلى القدس في سيارات شحن ضخمة ، حيث تتولى وكالة لها تصدير هذه المادة الكيماوية الهامة إلى خارج فلسطين ففي بدء الحوادث كانت سيارات البوتاس تسير بحماية عدد من البوليس ... ثم جملت مقدمة كل سيارة مصفحة بالفولاذ لا يظهر منها سوى ثلاث كوات ، إحداهما أمام السائق اليهودي ، واثنان عن يمينه وعن يساره ... ثم صارت مصفحات الجيش ترافق هذه السيارات ... ثم أخذ فريق من الجند بكامل معداته يصحبها في طريقها المتد من أريحا إلى وادي موسى ، إلى قرية المازرية ، إلى باب الأسباط في القدس فحلة وادي الجوز ، فباب الساهرة ، فالشيخ جراح ، فالأحياء اليهودية .

وكانت هذه السيارات تتعرض في كل سفرة إلى استتقبال حار من العرب ، لكنه عديم الجدوى ، لأن الرصاص كان يستكين في الأكياس ، أو يتدحرج على أضلاع المصفحات حاني الرأس منكسر الخاطر ...

وذاذ يوم عقد جماعة من صبيان وادي الجوز وباب الساهرة اجتماعاً سرياً في حديقة المتحف الفلسطيني بالقدس ، وكان موضوعه رسم خطة للاشتباك مع سيارات البوتاس في معركة ...

قال حسن ، وهو أجبر يقال : إنني أرتأى أن نرش الطريق بالسامير ...

فهزأ منه صهبه قائلين إن عجلات هذه السيارات من المطاط المسكوب لا التفوخ .

فقال سليم ، وهو صبي ميكانيكي : إنني أرتأى أن نسد الطريق بالحجارة ، وحين يخرج القوم من سياراتهم لازالة ما نعتمه من عوائق أمطرناهم بوابل من الحجارة ... فاستخف الأولاد رأيه قائلين سيتولى الجند إزالة الحجارة ويذهب بجهودنا سدى ..

فقال شكري ، وهو تلميذ في الصف الثاني الابتدائي : إنني أرتأى أن نغتم فرصة مرور السيارات من هذه الناحية ونغرز عليها ونثيرها ضبطة ناتي الملح في قلوب السائقين ، فيضطرب حبل توازنهم ، ويصدم بعضهم بعضاً ...

فضحك زملاؤه من اقتراحه هذا قائلين : وماذا يحل بنا في هذا الصدام ونحن ممتطون ظهور هذه السيارات ؟ ...

فقال عبد ، وهو أجبر قران : إنني أرتأى أن نضع قشاً في طريق السيارات ومتى اقتربت منها أضرمنا فيها النيران ... وسأتولى إحضار القش من القرن أثناء غياب معلمي ...

فقال له المجتمعون : كلامك هذا غير موزون ، أنتظن أن هذه السيارات هي أرغفة خبز وأنها ستنتظرك حتى تشمل فيها النيران ؟ ثم ما هي كيات القش التي ستحضرها من القرن ؟ ...

فقال موسى ، وهو ابن أحد الجنود العرب الذين اشتركوا في الحرب العالمية الثانية : إنني أرتأى يا أولاد أن تقذف السيارات بالزجاجات المحرقة ...

فدهش الصبية وقالوا بصوت واحد : وما هي هذه الزجاجات ؟ قال : أنا أصنعها .

قالوا : وكيف تصنعها ؟ ...

قال : أحضر زجاجات (كازوزة) فارغة ، واملاها بزيتاً . ثم أفرق سداذة كل زجاجة وأضع فيها فتيلاً يمتد إلى البترين ... واشمل الفتيل واقذف الزجاجات على الهدف ، فتتكسر ويلتهب البترين ...